إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«بكى يسوع»

(١١: ١-٤٤)

تأليف: بروس مكلارتي

في نص درسنا هذا (١١: ١-٤٤) يحكى عن يسوع عند قبر صديقه العزيز لعازر. تبين هذه القصة الطريقة التي صارت بها الكلمة جسداً وحل بيننا (١: ١٤). وتبين لنا ان يسوع شاء ان يأتي إلى عالم الأوجاع هذا. يأتي إلينا في ساعات الظلمة، ويجلس معنا في أحزاننا. لا يحاضرنا عن سبب الآلام أو معنى المعاناة، بل يبكي معنا. وفي هذا نجد تعزية لم نتوقعها وشركة عميقة مع الله.

يمكن دراسة الأصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنا بشتى الطرق، وسنكرس درسين آخرين في هذه السلسلة لهذا النص الرائع. في هذه الرحلة الأولى خلال هذا النص، نريد التركيز على الفقرات التي تشير إلى المشاعر والعواطف.

المحبة

مرض لعازر الذي كان من قرية بيت عنيا، فأرسلت مريم ومرثا أختي المريض إلى يسوع (١١: ١). قالتا له: «يا سيد هوذا الذي تحبه مريض» (آية ٣). يبدو هذا في أول وهلة كأنه لغة غريبة. ألا يحب يسوع الجميع؟ إذن كيف يمكن وصف شخص واحد بانه «الذي تحبه»؟ لقد أحب يسوع بل وهو يحب كل شخص في العالم، ولكن هذا لا يعني بانه لم يكن له أصدقاء مقربين. لكي تقَدّر علاقة لعازر ومريم ومرثا مع يسوع يجب ان تَسأل نفسك سؤال بسيط - إذا حدثت لك حالة طارئة أو اصبحت في حاجة ملحة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل فبمن تستعين أو بمن تتصل؟ بالنسبة ليسوع فانه سيتصل بأصدقاءه الثلاثة المقربين.

عندما تلقى يسوع الخبر، التفت إلى تلاميذه وقال لهم بان هذا المرض «ليس للموت» (آية ٤)، بل انه كان «لأجل مجد الله» (آية ٤). تعليق يوحنا التالي يذكرنا بشعور يسوع الخاص نحو هؤلاء الثلاثة: «وكان يسوع يحب مرثا واختها ولعازر» (آية ٥).

وبعد يومين قال يسوع لتلاميذه انه يجب عليهم ان يذهبوا إلى اليهودية لزيارة لعازر. وإذ كان التلاميذ يعلمون كيف كان قادة اليهود يبغضون يسوع ويريدون قتله، حاولوا ان يقنعوه بان لا يذهب. وأما يسوع فأصر على الذهاب قائلاً: «لعازر حبيبنا قد نام» (آية ١١). تشير لغة يسوع مرة أخرى إلى العلاقة التي كان يتمتع بها مع لعازر واختيه. كان النوم الذي يتكلم عنه هو الموت، وقد أخبرهم بصراحة فيما بعد حيث قال: «لعازر مات» (آية ١٤). قال توما وكان يعلم بان الذهاب إلى اليهودية قد يعني الموت لجميعهم: «لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه» (آية ١٦). نرى في هذه الكلمات خوف وولاء ممزوجين معاً.

خيبة أمل

عندما وصل يسوع إلى بيت عنيا، كان لعازر قد دُفن منذ أربعة أيام. وقبل ان يدخل يسوع المدينَة سمعت مرثا بانه قادماً فخرجت للقائه. وعندما رأته قالت له: «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي» (آية ٢١). يمكن للقارئ اليوم ان

يسمع خيبة الأمل في كلامها. قد تكون العبارة « لو كنت » أحزن عبارة في أية لغة. مع انه ربما كان لعازر قد مات قبل ان يصل المرسلون إلى يسوع بخبر مرضه، إلا ان مرثا كانت قد تأثرت بسبب تأخير يسوع في المجيء إليهم. تحمل يسوع هذا. سمح لها ان تعبر عن آلامها وارتباكها، وخيبة الأمل التي أصابتها.

دموع

بعد حديث قصير مع يسوع رجعت مرثا إلى البيت وقالت لأختها سراً: « المعلم قد حضر وهو يدعوك » (آية ٢٨). دون أن تعبر عما كانت تفعله قفزت ومضت للقاء يسوع. فلحق بها اليهود الذين كانوا قد جاءوا من أورشليم إلى بيت عنيا لتعزيتهما وقد ظنوا انها كانت في طريقها لتبكي عند قبر لعازر.

عندما وصلت مريم إلى يسوع: « خرّت عند رجليه » (آية ٣٢)، في تباين مع اختها التي كانت أكثر سيطرة على نفسها والتي جاءت إليه في وقت سابق وتكلمت معه واقفةً. ارتماء مريم عند قدمي يسوع يبين بانها لم تكن تهتم بمظهرها في تلك الحالة. كان الأسى في قلبها قد غمر كل أحساس آخر. ثم رددت مريم الكلمات نفسها التي قالتها أختها: « يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي » (آية ٣٢).

يمكن ان يسمى ما حدث في ما يلي بـ« جوهر » القصة. كتب يوحنا:

> فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب وقال: « أين وضعتموه؟ » قالوا له: « يا سيد تعال وانظر ». بكى يسوع (الآيات ٣٣-٣٥).

وصف يوحنا بكلمات قليلة (ولكن بطريقة مؤثرة) التأثير الذي كان على يسوع بسبب حزن الاختين. قد « انزعج » أي « فاض قلبه بالأسى الشديد ». لم يكن بكاء يسوع كصياح وصرخات الاختين أو الذين جاءوا ينوحون معهما. ربما كان كنشيج خفيف أو كما قال شخص ما: « سقطات دموع خفيفة ». كتب قريقوري النيسوي: « الدموع كالدم في جروح النفس ». كان قلب يسوع قد انجرح بسبب أحزان تلك الأسرة فبكى معهم.

فقال الحاضرون: « انظروا كيف كان يحبه » (آية ٣٦). يظن البعض بان يوحنا كان يظهر كيف أخطأ الجمع في فهم يسوع لهذه النقطة. ولكني لا أوافق بذلك. بل أظن بان يوحنا استخدم كلمات الجموع ليصف بدقة ما كان يحدث. كانا صديقين اعزاء، فقيدهم كان بمثابة فقيده.

سأل يسوع عن المكان الذي كانوا قد وضعوا فيه جسد لعازر، فذهب إلى القبر. قال يوحنا بان يسوع انزعج أيضاً في نفسه (آية ٣٨). السؤال الذي يجب ان نطرحه هو: « ماذا كانت تعني دموع يسوع؟ » هل بكى يسوع لأن لعازر قد مات؟ ولكنه كان يعرف بكل تأكيد بانه سيقيم لعازر بعد لحظات قليلة. هل أذرف دموعه بسبب الأسى الذي رآه في الآخرين؟ ربما كذلك. ولكن لا بد أنه كان يعرف أيضاً بان حزنهم سيتحول إلى فرح لم يختبروه من قبل. قال البعض بانه بكى بسبب قلة الإيمان التي رآها في اصحابه. ولكن كان يسوع قد رأى الكثير من عدم الإيمان في خدمته، ولم يكن البكاء طريقة استجابته المعتادة. كانت الدموع التي تنزل من على وجه يسوع تظهر كيف انه اختبر كل ما عنى ان يكون بشراً. أتى يسوع إلى عالمنا وجلس معنا وبكى معنا!

الخلاصة

كان دامين دي ڤوستر (١٨٤٠-٨٩) قد ذهب كمبشر إلى هواي في سنة ١٨٦٤ كبديل لأخيه الذي اصيب بالتيفوس. وبعد تسعة أعوام من العمل التبشيري الشاق على جزيرة هواي، تطوع دامين للذهاب إلى جزيرة مولوكاي حيث أُجبر مرضى البرص ان يعيشوا هناك. فعمل فيها كممرض، وباني، وطبيب، ومقاول، وحانوتي (أي مجهز الموتى للدفن)، وصانع توابيت، وحفار قبور. وقد نظم أيضاً اثنين من دار الأيتام في جزيرة مولوكاي. وكان يوعظ كل يوم أحد، ويبدأ موعظته دائماً بقول: « يا معشر البرص تعلمون ان الله يحبكم ». وفي أحد الأيام

لاحظ دامين ان البرص قد أصابه أيضاً. وعندما وقف أمام الكنيسة في يوم الأحد التالي بدأ بقول: «نحن معشر البرص نعلم بان الله يحبنا».

صورة يسوع خارج قبر لعازر تذكرنا بان يسوع اختبر الإنسانية كاملاً. لم يكن ٥٠ ٪ إنسان و٥٠ ٪ إله؛ بل كان ١٠٠ ٪ إلهاً و١٠٠ ٪ إنساناً. يدخل يسوع عالمنا ويشعر بأوجاعنا، ويبكي معنا، وقد فعل كل هذا لكي يوصل الخبر ولكي «نعرف ان الله يحبنا».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧